

عندما ينقطع المطر

بقلم : نكتل يوسف محسن

نشأ ظافر في حي شعبي بسيط من أحياء المدينة ، وأتسم بالخلق الكريم والجلم والأناة ، الى جانب ما أتسم به من شجاعة وإقدام ، إذ لم يُرى يوماً منهزماً من مشاجرة ، ولم يستطع أحداً المساس بكرامته في تلك المنطقة ، كما أن له أيادٍ بيضاء في مساعدة الناس وأسترداد حقوقهم ...

ونتيجة لظرفه الصعب أشتغل بأعمال كثيرة وخالط أناس من معادن شتى ، وكان محبوباً بينهم مقرباً إليهم لصفاته الجليلة وأخلاقه النبيلة ، ولأن مدرسة الحياة تجمع الغث والسمين والحسيس والنفيس ، فأنه واجه العديد من المصاعب في أعماله تلك ، لأسباب تتعلق في الأتفاق على الأجرة وحسابها ، ولكن هذه المصاعب لم تكن يوماً لتجعل أحدهم يجرواً على أغتصاب حقه وتضييع جهده ...

حتى جاء يوم ليس كباقي الأيام ، وعام مغاير لما سلف من الأعوام ، يتمثل بطلب أحد رجالات الخاصة أن يُنجز له عمل مقابل أجر معين يأخذه نهاية كل شهر ، لما عُرف عنه من إخلاص بالعمل وحياء وخلق مكتمل ، وافق ظافر ولم يتأخر لأن وضعه المادي كان سيئاً ، فقد مرت عليه شهور وشهور وهو بلا عمل أو خبر فيه بصيص أمل ، فقال في نفسه : قطرات مطر أفضل من الخل



باشر ظافر بعمله وأبدى همته المعهودة التي عُرف بها ، ولما كان نهاية الشهر أعتذر صاحب العمل عن السداد بسبب ضائقة مالية ألمت به ، وأقنع ظافر بإتمام العمل ووعده أن حقه لن يضيع ، فأقتنع بالرغم من أنه غير مسؤول عن تلك الضائقة ، ومع هذا أحس بالحزن ولكنه أثر الإكمال لضيق الحال وقلة الأعمال ، وبمضي الشهر تلو الشهر ولا شيء في الأفق يتغير ، فهو يعمل بلا أجر ويُجهد نفسه بلا طائل ، وفي البيت زوجة وأطفال ينتظرون يوماً أن يأتيهم وليهم بما يسد رمقهم ويلبي أحتياجاتهم ، فأصبح كالأرض المجذبة التي تتلفه لنزول المطر ، لترتوي بماء صيب يجعلها تكتسي بجلباب احضر ...

ولما طالت المدة ثار ظافر ثورة شجاع مقدام لا يرتضي الضيم ، وطالب بحقه بأسلوب يدل على رجل خلوق ممزوج بشجاعة ولكنه لم يتحصل على شيء ، حاول شرح قضيته للمقربين من صاحب العمل من أجل أستحصال أجره من دون فائدة ، صرخ ... وزئير ... بلا نتيجة ، فهو فارس بلا جواد ، وصقر بأجنحة منكسرة لا تقوى على التحليق ، أنسان أعتيادي ليس له من بعد الله ناصر إلا القليل ، وبالرغم من ذلك لم يترك ظافر حقه فهو ظافر ولطالما كان له من اسمه نصيب ، ولن يترك ظافر حقه حتى يستحصله وإن طال الزمان أو قصر ، فالحر لا يترك حقه على الأرض